منافع المرض

تأليف
د. يوسف بن عبد الله التركي
استشاري طب الأسرة – مستشفى الملك خالد الجامعي
كلية الطب جامعة الملك سعود

مصدر هذه المادة :



دار الوطن للنشر

المقدمـــة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله مـــن شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، ﷺ وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

لقد اهتم الإسلام بالمسلم في مرضه فبيَّن له الوسائل المعينـــة في تخفيف تأثير المرض، فالمريض يكابد المـــرض وتـــأثيره العضـــوي والنفسي والاجتماعي، ومن هنا برز دور الإسلام بتوجيهاته الربانية للمريض المسلم من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بالصبر ولاحتساب الأجر من الله والإيمان بقضاء الله وقدره، مع فعل الأسباب الطبيـــة المشروعة والاستعانة بالله والتوكل عليه والدعاء والتضرع بين يديه في الصلاة وفي أوقات الإجابة لرفع هذا المرض وتخفيفه.

وسأبين بعون الله وتوفيقه في هذا الكتاب بعض منافع المرض في ضوء الكتاب والسنة وهي:

* الصدمة الأولى.

* قضاء الله.

* الرضا.

* فوائد المرض.

* التدواي والرقية الشرعية.

* مرض القلوب والأبدان.

* الصبر والصلاة.

* الدعاء.

* ذكر الله والاستغفار.

* حسن الخاتمة.

والله أسأل أن ينفع بها مرضى المسلمين، وأن يمن عليهم بالشفاء والعافية، وأن يكتب لهم أجر الصابرين الراضين بقضاء الله وقدره، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

***

الصدمة الأولى

لقد هذب الإسلام النفس البشرية وحثها على مقاومة المرض بالصبر واحتساب الأجر من الله، قال تعالى: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧]، وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا**﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، وقال تعالى: ﴿**وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**﴾ [الشورى: ٤٣] وقال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ [الزمر: ١٠].

ومن رحمة الله تعالى أنه لا يؤاخذ المسلم على شعوره بالحزن أو القلق نتيجة علمه بهذا المرض، ولكن عليه ألا يقول إلا خيرًا وأن يصبر ويحتسب حتى يزول عنه هذا الشعور ويكون بعده الرضا والتسليم، فعن أنس رضي الله عنه قال: مر النبي ﷺ على امرأة تبكي عند قبر فقال: «**اتقي الله واصبري**» فقالت: إليك عني، فإنك لم تُصَبْ بمصيبتي، ولم تعرفه فقيل لها: إنه النبي ﷺ فأتت باب النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك فقال: «**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**» [متفق عليه].

قضاء الله وقدره

إن المسلم يقاوم المرض بالصبر واليقين بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، فتستريح بذلك نفسه ويطمئن قلبه بقضاء الله وقدره، قال تعالى: ﴿**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾ [الحديد: ٢٢ ، ٢٣].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي ﷺ يوما فقال: «**يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**» [رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح].

والإيمان بقضاء الله وقدره يريح القلب من الهموم والقلق ويبعث في النفس الطمأنينة، وهذا لا يعني ترك الأسباب المشروعة في طلب العلاج، بل إن الإسلام يحث على فعل ذلك مع التوكل على الله وتفويض الأمر إليه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز،**

وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا، كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشـــيطان» [رواه مسلم].

والمسلم يطمئن لقضاء الله وقدره، ويبذل جهده في الوقاية من الأمراض وتخفيفها عند الإصابة بها بالأسباب الطبية المشروعة، مـــع تعلق قلبه بربه وتوكله عليه وعلمه بأن الشفعاء من الله، قال تعالى: ﴿**وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ**﴾ [الشعراء: ٨٠].

***

الرضـــا

إن الشعور بالرضا له تأثير على المريض في استقراره النفسي وراحة قلبه من المخاوف والهموم وتمتعه بالحياة الطيبة في الدنيا مع ما يحتسبه عند ربه من الأجر والثواب العظيم في الآخرة.

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة**»، وقال النبي ﷺ: «**إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط**» [رواه الترمذي وقال: حديث حسن].

ويظهر الرضا في نفسية المريض المسلم لعلمه أن الله يحبه ويريد له الخير بهذا الابتلاء، فعن أبي يحيى صهيب بن سنان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمنين: إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له**» [رواه مسلم].

وهذا وعد من الله لمن صبر من المؤمنين والمؤمنات بالمغفرة والأجر العظيم، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ**

وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

فوائد المرض

إن نظرة المسلم لمرضه في ضوء تعاليم الإسلام يضفي على نفسيته الشعور بأن لمرضه فوائد متعددة منها: تكفير الذنوب والخطايا، ونيل رضا الله والجنة عند الصبر واحتساب الأجر من الله، وهذا ما دلت عليه الأدلة الشرعية، فعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها خطاياه**» [متفق عليه]. (الوصب: المرض).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من يرد الله به خيرًا يصب منه**» [رواه البخاري].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة**» [رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح].

وهكذا نجد أن المريض المسلم عندما يستشعر هذا الثواب العظيم فإن حزنه يصبح فرحًا، بل إن البشارة أكبر من ذلك وهي الجنة لمن صبر واحتسب كما في الحديث، فعن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله عز وجل قال: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة**» يريد عينيه،

[رواه البخاري].

وعن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس رضي الله عنهما: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ فقلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع وإني أتكشف فادع الله تعالى لي. قال: «**إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله تعالى أن يعافيك**» فقالت: أصبر، فقالت: إني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف، فدعا لها. [متفق عليه].

التداوي والرقية الشرعية

لقد شرع الإسلام التداوي وحث على ذلك، ففي صحيح مسلم من حديث أبي الزبير عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال: «**لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء بَرِئَ بإذن الله عز وجل**»، وقوله ﷺ في الحديث: «**ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء**»، وفي لفظ: «**إن الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء**» [أخرجه أحمد].

لقد ارتقى علم الطب في وقتنا الحاضر واكتشف الدواء لكثير من الأمراض بفضل الله ورحمته، والمسلم يتداوى بالوسائل الطبية المشروعة، وإن أصابه مرض لا يعرف له دواء عند الأطباء فلا ييأس ويقنط بل عليه أن يدعو الله ويطلب الشفاء منه، قال تعالى: ﴿**وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ**﴾ [الشعراء:٨٠]، وقال تعالى: ﴿**أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَءِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ**﴾ [النمل: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿**وَإِنْ**

يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٧،١٨]، وقال تعالى: ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾ [يس: ٨٢].

إن تردد المريض في اختيار أحد طرق العلاج بعد استشارة الأطباء المختصين في تحديد طرق العلاج المناسبة ومدى تأثيرها من الناحية الصحية على المريض، ليؤكد على أهمية اتخاذ القرار في ذلك حتى لا يكون هناك مضاعفات بسبب التأخر في العلاج، ويشرع للمريض في هذه الحالة أداء صلاة الاستخارة كما صح عن النبي ﷺ، فعن جابر رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن، يقول: «**إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر -ويسمي حاجته- خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم أرضني به**» [رواه البخاري].

إن من نعم الله على المريض المسلم أن شرع له الرقية الشرعية، قال تعالى: ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿**قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ**﴾

[فصلت: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [يونس: ٥٧]، وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلًا من أصحاب النبي ﷺ رقى لديغًا بفاتحة الكتاب فجعل يتفل عليه ويقرأ: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾، فكأنما نشط من عقال، فانطلق يمشي وما به قلبة. الحديث. القلبة (بفتح القاف واللام): العلة والألم.

وعن أبي سعيد رافع بن المعلى رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد؟** فأخذ بيدي (فلما أردنا أن نخرج قلت: يا رسول الله، إنك قلت: لأعلمنك أعظم سورة في القرآن؟ قال: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته» [رواه البخاري».

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط؟ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾**» [رواه مسلم].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال في: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾، إنها تعدل ثلث القرآن. [رواه مسلم].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يتعوَّذ من الجان وعين الإنسان حتى نزلت المعوذتان، فلما نزلتا أخذ بهما وترك ما سواهما. [رواه الترمذي وقال: حديث حسن].

وعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟**» قلت: ﴿**اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾، فضرب في صدري وقال: «**ليهنك العلم أبا المنذر**» [رواه مسلم].

وعن أبي مسعود البدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه**» [متفق عليه].

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يعود بعض أهله يمسح بيده اليمنى ويقول: «**اللهم رب الناس، أذهب البأس، اشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقمًا**» [متفق عليه].

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا اشتكى الإنسان الشيء منه أو كانت به قرحة أو جرح قال النبي ﷺ بأُصبعه هكذا، ووضع سفيان بن عيينة الراوي سبابته بالأرض ثم رفعها وقال: «**بسم الله، تربة أرضنا، بريقة بعضنا، يشفى به سقيمنا، بإذن ربنا**» [متفق عليه].

وعن أنس رضي الله عنه قال لثابت رحمه الله: ألا أرقيك برقية رسول الله ﷺ؟ قال: بلى. «اللهم رب الناس مُذهب البأس، اشف أنت الشافي، لا شافي إلا أنت، شفاء لا يغادر سقمًا» [رواه البخاري].

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: عادني رسول الله ﷺ فقال: «**اللهم اشف سعدا، اللهم اشف سعدا**» [رواه مسلم].

وعن أبي عبد الله عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعًا يجده في جسده، فقال له رسول الله ﷺ: «**ضع يدك على الذي يألم من جسدك وقل: بسم الله -ثلاثا- وقل سبع مرات: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر**» [رواه مسلم].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ دخل على أعرابي يعوده، وكان إذا دخل على من يعوده قال: «**لا بأس طهور إن شاء الله**» [رواه البخاري].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال: «**يا محمد، أشتكيت؟ قال: نعم. قال: بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك، ومن شر كل نفس أو عين حاسد، الله يشفيك، بسم الله أرقيك**» [رواه مسلم].

وعلى المسلم أن يؤمن بفائدة الرقية الشرعية من الآيات القرآنية والأدعية النبوية الصحيحة وأن يبذل الأسباب الطبية المشروعة وأن يتوكل على الله فإنه نعم المولى ونعم النصير.

أمراض القلوب والأبدان

إن الجسد يمرض فيشتكي المريض من أعراضه مما يدفعه لاستشارة الطبيب لتشخيص مرضه وإعطائه الدواء، أما أمراض القلوب فقد يصاب بها الإنسان بسبب تراكم المعاصي والبعد عن منهج الله القويم فيقسو قلبه ويمرض، وقد لا يعلم عن مرضه بل يعتقد أنه صحيح القلب، قال تعالى: ﴿**فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ**

اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠]، وقال تعالى: ﴿**فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾ [الحج: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿**كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ [المطففين: ١٤].

والقلب هو المحرك للجوارح فإن أصابه المرض انحرفت الجوارح وارتكبت المعاصي والمنكرات، والقلب يحتاج إلى وقفة محاسبة مع النفس لمعرفة أسباب مرضه ومعالجتها بالرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، والاقتداء برسول الله ﷺ قولا واعتقادا وعملا، ومداومة التوبة والاستغفار، فكل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون.

وبهذا ينال المسلم صحة قلبه وسعادة الدارين في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿**يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩]، وقال تعالى: ﴿**أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ * اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ [الحديد: ١٦، ١٧].

ولقد حث الإسلام على الاستقامة وهي من جوامع الكلم، وهي لزوم طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ، وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ**

فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآَخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [الأحقاف: ١٣، ١٤]، وقال تعالى: ﴿**فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ**﴾ [هود: ١١٢].

وعن أبي عمرو -وقيل- أبي عمرة سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولًا لا أسأل عنه أحدًا غيرك. قال: «**قل آمنت بالله ثم استقم**» [رواه مسلم].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قاربوا وسددوا، واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله**» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل**» [رواه مسلم]، و(المقاربة): القصد الذي لا غلو فيه ولا تقصي، و(السداد): الاستقامة، و(يتغمدني): يلبسني ويسترني.

الصبر والصلاة

لقد قرن الله تبارك وتعالى الصبر والصلاة بقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ [البقرة: ١٥٣].

والصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام ولها تأثير عظيم في حياة المسلم، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ**﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان**» [متفق عليه].

والصلاة هي راحة المؤمن وأنسه في السراء والضراء، وهي ملاذه عند الشدائد والكرب، فهي الصلة بين العبد وربه، وهكذا أصبحت الصلاة مع الصبر نعم العون، لأن المبتلى يناجي ويدعو ربه في صلاته وهو أقرب ما يكون من ربه في سجوده فيسأله الشفاء من الأمراض والبلاء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء**» [رواه مسلم].

وهذا مما يقوي المريض المسلم على مقاومته لمرضه ورفع معنوياته، مع ما في الصلاة من الأجر العظيم وتكفير الخطايا، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا**» [متفق عليه].

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيُحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم تؤت كبيرة وذلك الدهر كله**» [رواه مسلم].

وعن جندب بن سفيان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ صلى الصبح فهو في ذمة الله فانظر يا ابن آدم لا يطلبنـــك الله من ذمته بشيء**» [رواه مسلم]، في ذمة الله: أي في حفظه.

إن المريض المسلم المحافظ على صلاته في جميع أحوالـــه تجـــده صابرًا محتسبًا ذا نفس مطمئنة يرجو فرج ربه بعد الشدة والضـــيق، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًـــا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَـــلَاتِهِمْ دَائِمُونَ...**﴾ الآيات [المعارج: ١٩-٢٣].

وقال تعالى: ﴿**فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْـــرًا * فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ * وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ**﴾ [الشرح: ٥-٨].

الدعـــاء

الدعاء هو صلاح المؤمن عند الشدائد؛ فالمريض المسلم يـــدعو ربه أن يعافيه ويكشف عنه ما أصابه من المرض ويلح بالـــدعاء في كل وقت وفي جميع الأحوال مع بذلك أسباب إجابة الدعاء وتحري أوقات الإجابة امتثالًا لأمره تبارك وتعالى: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُـــونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾ [غافر: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ [الأعراف: ٥٥]، وقـــال تعـــالى: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْـــوَةَ الـــدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**﴾ [البقرة: ١٨٦].

والمريض المسلم يوقن بأن الله قادر على إجابة دعوته وكشـــف الضر عنه، قال تعالى: ﴿**أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِـــفُ**

السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢].

ولقد حث رسول الله ﷺ على الدعاء، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**الدعاء هو العبادة**» [رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء**» [رواه مسلم].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**فأما الركوع فعظموا فيه الرب، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن أن يستجاب لكم**» [رواه مسلم].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يُستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: قد دعوت ربي فلم يستجب لي**» [متفق عليه].

والمسلم يدعو لأخيه المسلم بظهر الغيب فينال بذلك الأجر من الله ويكون له مثل دعائه، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك: ولك بمثل**» [رواه مسلم].

وعنه أن رسول الله كان يقول: «**دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به: آمين ولك بمثل**» [رواه مسلم].

وعن أنس رضي الله عنه قال: كان أكثر دعاء النبي ﷺ: «**اللهم آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار**» [متفق عليه].

وعن طارق بن أشيم رضي الله عنه قال: كان الرجل إذا أسلم علَّمه النبي ﷺ الصلاة ثم أمره أن يدعو بهؤلاء الكلمات: «**اللهم اغفر لي، وارحمني، واهدني، وعافني، وارزقني**» [رواه مسلم].

وعن أبي الفضل العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، علمني شيئا أسأله الله تعالى. قال: «**سلوا الله العافية**». فمكث أيامًا ثم جئت فقلت: يا رسول الله، علمني شيئا أسأله الله تعالى. قال لي: «**يا عباس، يا عم رسول الله، سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة**» [رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح].

والمسلم يدعو ربه ولا يقنط من استجابة الدعاء بل عليه أن يلح في الدعاء فإن الله سيستجيب له أو يصرف عنه من السوء مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم كما في الحديث عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ما على الأرض مسلم يدعو الله تعالى بدعوة إلا آتاه الله إياه، أو صرف عنه من السوء مثلها، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم**» فقال رجل من القوم: إذا نكثر. قال: «**الله أكثر**» [رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح].

ذكر الله والاستغفار

لقد حث الإسلام على ذكر الله وبيَّن أنه سبب لطمأنينة القلب،

قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ [الرعد: ٢٨].

والمريض محتاج إلى طمأنينة القلب والراحة النفسية حتى يقاوم المرض بنفس مطمئنة راضية.

والأدلة الشرعية من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ تؤكد على أهمية هذا الجانب في حياة المسلم، قال تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآَصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ**﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

وقال تعالى: ﴿**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ**﴾ [البقرة: ١٥٢].

وقال: ﴿**وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [الجمعة: ١٠].

وقال تعالى: ﴿**وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا**﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**» [متفق عليه].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لأن أقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس**» [رواه مسلم].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره مثل الحي والميت**» [رواه البخاري ومسلم].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم**» [متفق عليه].

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**سبق المفردون**» قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «**الذاكرون الله كثيرا والذاكرات**» [رواه مسلم].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟**» فقلت: بلى يا رسول الله. قال: «**لا حول ولا قوة إلا بالله**» [متفق عليه].

وأعظم الذكر قراءة القرآن فعن أبي أُمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه**» [رواه مسلم].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران**» [متفق عليه].

وقراءة القرآن فيها أجر عظيم، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة،**

والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ﴿الم﴾ حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف» [رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح].

ولقد حث الإسلام على الاستغفار في آيات قرآنية وأحاديث نبوية، قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾ [النساء: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿**وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾ [النساء: ١٠٦].

وقال تعالى: ﴿**فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا**﴾ [النصر: ٣].

وقال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾ [الأنفال: ٣٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة**» [رواه البخاري].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا نعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة: «**رب اغفر لي وتب عليَّ إنك أنت التواب الرحيم**» [رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح].

وعن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**سيد**

الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك، وأن على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت. أبوء لك بنعمتك عليَّ، وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. من قالها في النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها في الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة» [رواه البخاري].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول قبل موته: «**سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه**» [متفق عليه].

حسن الخاتمة

إن المسلم يحرص على أن يكون خير أعماله خواتمها، فيبادر بالتوبة النصوح والاستقامة على طاعة الله وطاعة رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿**وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ**﴾ [الحجر: ٩٩].

ولقد حث الإسلام على المبادرة إلى الأعمال الصالحة، قال تعالى: ﴿**وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وقال تعالى: ﴿**فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ**﴾ [البقرة: ١٤٨].

وقال تعالى: ﴿**وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا**﴾ [المزمل: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ**﴾ [الجاثية: ١٥].

ولقد بيّن الرسول ﷺ أن العبد يُبعث على ما مات عليه، فعن جابر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**يُبْعَثُ كل عبد على ما مات عليه**» [رواه مسلم].

وعن معاذ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كان آخر كلامه: لا إله إلا الله دخل الجنة**» [رواه أبو داود والحاكم وقال: حديث صحيح الإسناد].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لقنوا موتاكم لا إله إلا الله**» [رواه مسلم].

والمسلم يهتم بأهله وأولاده في حالة صحته ومرضه فيذكرهم بالله وينصحهم ويدلهم على الخير ويوصيهم بتقوى الله، ويبادر بالوصية قبل أن يفاجئه الأجل.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**» [رواه مسلم].

والمريض المسلم يتوكل على الله، قال تعالى: ﴿**وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ**﴾ [الفرقان: ٥٨].

وقال تعالى ﴿**وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ [إبراهيم: ١١].

وقال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ**

يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

والمريض المسلم يُحْسِن الظن بربه، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول: «**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل**» [رواه مسلم].

والله أسأل أن يشفي مرضى المسلمين وأن يمن عليهم بالعافية في الدنيا والآخرة وأن يحسن لنا ولهم الخاتمة، إن ربي قريب مجيب سميع الدعاء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

المراجع والقراءة الإضافية

١- القرآن الكريم.

٢- الإمام النووي م ي. رياض الصالحين. الطبعة الأولى تحقيق محمد ناصر الدين الألباني: المكتب الإسلامي، ١٣٩٨.

٣- ابن قيم الجوزية ش م. زاد المعاد في هدي خير العباد. الطبعة الخامسة والعشرون. مؤسسة الرسالة، ١٤١٢.

٤- ابن قيم الجوزية ش م. الوابل الصيب من الكلم الطيب. الطبعة السادسة. دار الكتاب العربي، ١٤١٧.

٥- عبد الرحمن بن ناصر السعدي، بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار. الطبعة الأولى. مطبعة السنة المحمدية، ١٣٧٢.

٦- محمد بن صالح العثيمين. شرح أصول الإيمان. دار الوطن.

٧- عبد الرحمن بن ناصر السعدي. الوسائل المفيدة للحياة السعيدة. وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤٢٠.

٨- يوسف بن عبد الله التركي. السلوك الصحي في ضوء الإسلام. الطبعة الأولى. دار الوطن للنشر، ١٤٢١.

الفهرس

***